



في لافتاً معبراً رفعتها إحدى حرائر سوريا يوم الجمعة الماضية وفي نفس انعقاد مؤتمر أصدقاء سوريا في العاصمة التونسية، كتبت عليها "اقتلوني ولكن يرحل"، وهي بذلك قد اختصرت الثورة السورية ولخصت هدفها في مطلب واحد وهو رحيل النظام الأسد المستبد الملطخة يداه بدماء عشرات الآلاف من السوريين الأبراء المطالبين بالحرية والعدل، مهما كانت تكلفة وباهظة هذا الرحيل، وهذا يعني حقيقة واحدة؛ وهي أن أي حل دون ذلك الرحيل مرفوض جملة وتفصيلاً من الشعب السوري، وهذه الحقيقة يعلمها المجتمع الدولي جيداً ولكنه يتجاهلها ويتعامل معها، في تواطؤ دولي وإقليمي مرير على ما يجري في سوريا.

#### عنوان براقة ومضامين فارغة:

لا أفينك بعد الموت تنبني \*\*\* وفي حياتي ما بلغتني زاري

هذا البيت المرير من عيون الشعر العربي، وهو ملخص مؤتمر أصدقاء سوريا الذي عقد بالعاصمة تونس يوم الجمعة 24 فبراير بحضور سبعين دولة عربية وأجنبية وبغياب متوقع من روسيا والصين ولبنان وبحضور المجلس الوطني السوري المعارض، لمناقشة سبل علاج المشكلة السورية المتفاقمة والتي وصلت لحد لا يتصوره عقل بسقوط قرابة المائة قتيل يومياً في سوريا، وذلك في أعقاب الفشل الدولي في اصدار قرار من الأمم المتحدة ومجلس الأمن بسبب الفيتو الروسي الصيني المزدوج.

المؤتمر الذي عقد ليوم واحد! تحت عنوان براق وآمال كبيرة من منسيه، كان أشبه ما يكون بمعسكر تدريبي على فنون الخطابة والكلام المعسول الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، جاء خالياً من أي مضمون حتى ولو كانت شعارات جوفاء، حيث تكلم العديد من الزعماء والمسؤولين عن الأزمة السورية توصيفاً وتنظيراً دون وضع أي حلول عملية نحو الخروج من هذه الأزمة بحل يرضي الشعب السوري المطحون بين رحى النظام الأسد المجنون والتواطؤ الغربي المرير، وبقراءة مقررات المؤتمر ووصياته نجد أن أصدقاء سوريا قد برهنوا على أن للصداقة معاني أخرى غير تلك التي عرفها الناس وتربيوا عليها، ونستطيع أن نخلص لعدة نتائج من هذا المؤتمر الفاشل الذي يضاف لسجل المحاولات الفاشلة -عمداً- نحو الأزمة السورية بعدة أمور منها:

1. أن العرب قد بان عجزهم الكامل نحو التعامل الجدي والواقعي مع هذه الأزمة السورية، وبان أيضاً تخطبهم الشديد في توصيف علاجها، ففي الوقت الذي تبارى فيه المتكلمون في رثاء شهداء سوريا ومصابيها ومعتقليها، والتعهد بتقديم الإمدادات والمساعدات الغذائية والدوائية للمحاصررين في سوريا، وتوجيهه اللوم للنظام السوري ومطالبته الخجولة بالرحيل كما جاء على لسان الرئيس التونسي "المنصف المرزوقي" ووزير الخارجية القطري "حمد بن خليفة"، وهو أيضاً رئيس الدورة الحالية للجامعة العربية والذي ناشد واستعطف الطاغية بشار - على أساس أنه عنده قلب أو مشاعر مثل سائر البشر. بعبارات رقيقة لعله يرحل، إذ قال له: "من هنا أوجه رسالة للحكومة السورية وللرئيس بشار الأسد، هل تريدون حكم سورية فوق هذه الأشلاء والاستمرار في تدمير سورية من أجل التشبث بالحكم، لا بد أن تتخذ القيادة السورية قراراً شجاعاً وتحسم أمرها لصالح الشعب السوري" ، رغم هذه المطالب بالرحيل إلا أنهم في نفس الوقت أكدوا على رفضهم القاطع لفكرة التدخل العسكري لنجدة أهل سوريا، رغم علمهم التام بأنه السبيل الوحيد لعلاج هذه الأزمة الإنسانية المتفاقمة، وكم كان "المنصف المرزوقي" متناقضاً فيما قاله حول رفضه للتدخل العسكري، إذ قال: "أن نكون أصدقاء حقيقين لسوريا يعني أن نحقق أكبر قدر من الدماء" ، وهذا لا يكون بالتصعيد العسكري سواء تعلق الأمر بتسليح جزء من السوريين ضد السوريين أو بتدخل عسكري من أي طرف". وهكذا بخطبة قول ساوي بين الجلاد والضحية، ساوي بين الشعب الأعزل المحاصر الذي يقتل منه كل يوم قرابة المائة وهم في البيوت والطرقات، وبين الطاغية بجيشه الجرار والمدعوم بميليشيات البلطجية والمسلح بالسلاح الروسي، ومن قبل ذلك العجز العربي والتواطؤ الغربي! ، وهو نفس الأسلوب الذي كان يتعامل به الغرب ببيئاته ومؤسساته الدولية الميسسة مع القضية الفلسطينية ومساواته بين الضحايا الفلسطينيين والجناة الصهاينة، لذلك كم كان جريئاً وشجاعاً واضحاً مندوب العربية السعودية ووزير الخارجية السعودي الأمير "سعود الفيصل" ، عندما صرخ بأن النظام السوري فقد شرعنته وأصبح أشبه بسلطة احتلال - عبارة موفقة ودقيقة للغاية، وإن التركيز على المساعدات الإنسانية للسوريين لا يكفي، ثم تساءل هل من الإنسانية أن نكتفي بتقديم الطعام والدواء والكساء للسوريين ثم نتركهم لآلة لا ترحم؟ ثم توج كلماته بموقف عملي يحمل عليه، عندما انسحب من المؤتمر احتجاجاً على عدم فعاليات قراراته وتوجهاته وعدم جديته.

2. أن التواطؤ الغربي قد أصبح مفضوحاً ومكشوفاً لرجل الشارع العادي ناهيك عن الساسة والعلاء، فالغرب يستطيع أن يضع روشة علاج سريعة وعاجلة أن توافرت عنده النية لذلك، وأنداناها أن يقوم بتسليح المعارضة السورية وخاصة جيش سوريا الحر الذي أثبت قدرته على توجيه ضربات مؤثرة للجيش السوري المتداعي، وهو بذلك ينأى بنفسه عن التورط في المستنقع السوري وتحمل تكالفة قد يراها باهظة لأزمة لا تستحق كل هذا العناء! ولكن الأحداث والواقع أثبتت أن الرضا الغربي عموماً والأمريكي خصوصاً عما يقوم به جزار سوريا و مجرمها أكبر من أي محاولة عربية أو إقليمية أو حتى دولية وإنقاذ الشعب السوري، ففي الوقت الذي تتدفق المساعدات العسكرية والمالية السخية من إيران - المعاقبة دولياً - ويدخل خمس عشرة ألف من قوات الحرس الثوري إلى سوريا لذبح السوريين ومنع انهيار النظام الأسد، ناهيك عن صنائع إيران في العراق ولبنان - جيش المهدى وحزب الله الشيعي-، والذين دخلت مليشياتهم بقوة على الساحة السورية منذ بداية الثورة، وتمخر سفنها الحربية الممرات البحرية الدولية التي لا بد لها من المرور على السواحل التي يسيطر عليها الكيان الصهيوني الغاصل الذي ملأ الدنيا ضجيجاً باستعداده لضرب إيران، تمر السفن بكل حرية وأمان لنقل السلاح إلى حاكم دمشق، وتقوم بالتشويش على اتصالات المعارضة وترصد تحركات الجيش الحر، كل ذلك يحدث تحت سمع وبصر الأقمار الصناعية المتطرفة وطائرات الأواكس التي ترصد 400 هدف في الثانية الواحدة والمخابرات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية.. إلخ، ولا تحرك ساكناً ولا حتى تدين هذه الإمدادات الهائلة التي تم شرائين نظام يذبح شعبه!، وبطريقة لا تكشف فقط عن تواطؤ الغرب على ذبح السوريين، ولكن عن كذب ونفاق الغرب خاصة أمريكا وإسرائيل فيما يتعلق بدولة

الشر المجنوس؛ إيران، فما تهديدات أمريكا وأوروبا والصهاينة إلا مسرحية هزلية تكرر في كل عام مرة أو مرتين، لم تعد تنطلي إلا على البلهاء الذين ظنوا أن الغرب يوماً سيردع الإيرانيين عن عبثهم بأمن المنطقة، بل إن الأمر ربما يكون أخطر من ذلك إذا صحت الأنباء التي تسربت عن نية أمريكا على تطبيق النموذج الكوسوفي على سوريا، وهو ما سيؤدي حتماً لتمزيق سوريا إلى كيانات طائفية وديواليات صغيرة تفاقم معاناة العرب والمسلمين أكثر فأكثر.

3. أن السوريين بعد نتائج هذا المؤتمر الفاشل قد رسمت قناعاتهم بأنه لا ناصر لهم على الحقيقة إلا الله - عز وجل -، وهو ما يعتبر بحق بداية الطريق إلى النصر، حيث فرغت قلوبهم من انقطعت آمالهم من سوى الله - تعالى -، فأهل سوريا قد خانتهم كل أنظمة الأرض تقريباً من عرب ومن عجم، ولم يبق لهم بعد الله - تعالى - سوى سواعدهم وعزمهم، والذي يحتاجه الشعب السوري اليوم هو أيدلوجية جديدة يعيدها شحن ثورته من جديد، ويصحح مسارها بعد أن كثُر فيها الدغل والدخن ودب فيها الوهن، بحيث تنصره ثورته وتسبك في إطار واحد لا يكون فيها مكان لطلاب الدنيا والباحثين عن المناصب ومتخاذلي أنصاف الحلول وتجار المعارضة وزبائن الفضائيات، عندها وعندها فقط نقول للسوريين: هنيئاً لكم الحرية ويحتفل الشرفاء في كل مكان بصلة جمعة الحرية الأولى في الجامع الأموي تماماً مثلما احتفل صلاح الدين بفتح بيت المقدس بعد ظهره من الصليبيين بخطبة الفتح في 4 شعبان سنة 583 هـ، ومن يدرى لعلها تكون في 4 شعبان المُقبل أو أقرب، ولا عزاء يومها لأصدقاء سوريا - أقصد بشار - من عرب ومن عجم.

المصدر: مفكرة الإسلام

المصادر: